أثر التّرجمة في تأويل معاني ومقاصد القرآن الكريم

The effect of translation on the interpretation of the meanings and purposes of the Noble Qur'an

د. مشوار مصطفى*

د. نجادي بوعمامة♦

تاريخ الاستلام: 06 / 12/ 2020 تاريخ القبـول: 02 / 02/ 2021

ملخّص: تتجلى معجزات القرآن الحكيم البيانيّة، لمن يحسن اللغة سليقة أو تعلما، أما من عجز عن اكتسابها من العجم؛ فالتّرجمة سبيله إلى بعض مقاصد ومعاني الآيات القرآنيّة، فالقرآن إعجاز. التّرجمة علم مهم ولجميع اللغات، لكن للترجمة شروط وضوابط؛ أهمها التّمكن والأمانة، فنزغات النّفس والهوى لا نسلم من تسلطها في التّرجمة، وهذا ما لمسناه في ترجمات لبعض آيات الذكر الحكيم؛ من حضور لحظوظ نفس المترجم ومعتقداته وثقافته.

كلمات مفتاحيّة: التّرجمة، التّأويل، علاقة التّرجمة بالتّأويل.

Abstract: The miracles of the wise Qur'an are illustrative, for those who have mastered or learned proper language, as for those who are unable to acquire it, from non-Arabs. Translation is a way to reach some of the aims and meanings of the Qur'anic verses, so the Qur'an is a miracle. However, translation has conditions and restrictions; the most important of them is mastery and honesty, so the impulses and desires of the soul are not free of its authority in translation and this is what we have seen in translations of some verses of the Holy Quran. From the presence of the translator's, own fortunes, beliefs and culture.

Key words: translation, hermeneutics, the relationship of translation to interpretation.

1. مقدّمة: حوى القرآن الكريم علوما كثيرة ومتنوعة، وما تهافت الباحثين عليه بحثا ودراسة وفقها إلا دليل على ذلك، وحَمَلَهُم الإعجاز لنقل ما فيه من المعجزات إلى لسان غير عربي. حاول بعض العلماء وخاصة المستشرقين منهم، أن ينقلوا لغة القرآن الكريم إلى لغة ثانيّة عن طريق التّرجمة، ونشير هنا أن مسألة التّرجمة ليست بالأمر الهين ففيها من الصعوبات التّي أفضت إلى مفاهيم وأفكار جديدة في ذهن المتلقي.

ونظرا لحساسيّة ومشقة التّرجمة، ويزيدها صعوبة ترجمة آيات القرآن الكريم، وعلى هذا نتساءل هل التّرجمة هي نقل حرفي للمفردات والتّراكيب أو نقل لمعان؟ ونطرح إشكاليّة أخرى وهي: هل يحق للمترجم التّأويل كما يحق للمفسر؟ من خلال هذا البحث الذي بين أيدينا، نحاول تبيان أهميّة التّرجمة، وعلاقته بالتّأويل.

* جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، mechouar19811981@gmail.com (المؤلف المرسل)

♦ جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، aboualizebouamama@gmail.com

2.التّرجمة لغة واصطلاحاً: من خلال بحثنا عن ماهيّة مصطلح " **التّرجمة** " لغويا، ألفيناه على معان عدة، منها:

- **البيان والايضاح:** ورد في المعجم الوسيط: " ترجم الكلام: بينه ووضحه "[1] (العربية, مجمع اللغة، 1425هـ ، 2004م ،، صفحة 183) .
- **تفسير الكلام بلغة غير لغته:** وهذا ما ذكره الجوهري في الصحاح "ويقال: قد تَرْجَمَ كلامَه إذا فسره بلسان آخر"[2] (الجوهري، 1430هـ ، 2004 م، صفحة 442).
- **نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى:** وجاء في معجم ابن الأثير:" التّرجمان هو الذي يترجم الكلام، أي؛ ينقله من لغة إلى أخرى"[3] (الأثير، صفحة 445).

تبين لنا أن مصطلح التّرجمة، لا يخرج عن كونه نقلا من لغة الأصل إلى لغة ثانيّة، سواء كان نقلا حرفيا أم تفسيريا وغرضه التّبيين والتّوضيح.

واصطلاحا: هناك تعريفات عديدة للمصطلح، لكن معناها واحد مع اختلاف في الحدود، ووجدنا أن تعريف الزرقاني في كتابه مناهل العرفان أشمل وأدق حيث عرفها قائلا: " هي التّعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده "[4] (الزرقاني، 1415هـ-1995م). انطلاقا من هذا التّعريف الذي أورده الزرقاني، فهو يوافق المعنى اللغوي الثالث المذكور آنفا.

نبه الزرقاني أن المقصود من هذا التّعريف هو التّعريف العرفي، وهو خاص بالقرآن، وعنى بالمعاني بلاغة القرآن، وما يستشف من المعاني الثانويّة والإعجاز اللغوي في النّظم [5] (الزرقاني، 1415هـ-1995م)، أما عن الثاني وهي المقاصد لخصها بقوله :" بما أن التّرجمة عرفا لا بد أن تتناول مقاصد الأصل جميعا، فإنا نقفك على أن لله تعالى في إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسيّة : أن يكون هدايّة للثقلين، وأن يقوم آيّة لتأييد النّبي، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس"[6] (الزرقاني، 1415هـ-1995م).

1.2 أنواع التّرجمة : تنقسم التّرجمة باعتبار الموضوع الذي نعالجه إلى قسمين، حرفيّة وتفسيريّة :

التّرجمة الحرفيّة: وهي" التّي تراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه. وبعض النّاس يسمي هذه التّرجمة ترجمة لفظيّة، وبعضهم يسميها مساويّة "[7]. ولنأت بمثال عن هذه التّرجمة في قوله تعالى:﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ٨٤**﴾ **[يوسف: 84]** [8] .

ونقابلها بترجمة للمستشرق الفرنسي: جاك بيرك Jacques Berque.

84. De chagrin ses yeux devinrent tout blancs,tellement il se contenait.[9] (Berque, 1990)

معنى التّرجمة: بالحزن تحولت عيناه إلى اللون الأبيض، احتوى نفسه كثيرا.

بالرّغم من أنه حاول أن يقابل كل كلمة من القرآن، بما يعادلها في اللغة الفرنسيّة، إلا أن المعنى اختل، مع ركاكة في التّعبير.

والتّرجمة التّفسيريّة: " هي التّي لا تراعى فيها تلك المحاكاة –أي: محاكاة الأصل –في نظمه وترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة. ولهذا تسمى –أيضا- بالتّرجمة المعنويّة، وسميت تفسيريّة لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التّفسير"[10] (الزرقاني، 1415هـ–1995م).

وهذا حق فلو نعود إلى التّفاسير نجد معنى الآيّة هي: أي؛ وتولى يعقوب عليه الصلاة والسّلام عن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء، حيث ابيضت عيناه من ذلك﴿ **فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾، أي؛ ممتلئ القلب من الحزن الشّديد، وقال: ﴿ **يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** ﴾ أي؛ ظهر منه ما كمن من الهم القديم والشّوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنّسبة للأولى، المصيبة الأولى[11].

يتجلى لنا من هذا التّفسير أن التّرجمة التّفسيريّة تجبرك على التّدبر ومراعاة المعاني وفصاحة اللغة وروعة النّظم، بينما التّرجمة الحرفيّة أنت أسيرها يلزمك التّقيد بشروطها، حتى ولو أخللت بالمعنى.

وهذا ما رجحه محمود بن عبد السّلام عزب، لما تكلم عن التّفسير والتّرجمة، حيث يقول: " إن التّرجمة والتّفسير مصطلحان مترادفان، فالتّرجمة تفسير ونوع من التّفسير، والتّفسير ترجمة "[12]، لكن للزرقاني رأي آخر حيث استبعد فكرة أن التّرجمة التّفسيريّة هي نفسها التّفسير وفصّل في ذلك[13] (الزرقاني، 1415هـ–1995م).

2.2 شروط التّرجمة: نورد ما ذكره الزرقاني من شروط لا بد لها للمترجم سواء التّرجمة الحرفيّة أم التّرجمة التّفسيريّة وهي:

أولها: معرفة المترجم لأوضاع اللغتين: لغة الأصل ولغة التّرجمة.

ثانيها: معرفته لأساليبهما وخصائصهما.

ثالثها: وفاء التّرجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن.

رابعها: أن تكون صيغة التّرجمة مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه، وأن تحل محله، كأنه لا أصل هناك ولا فرع.[14] (الزرقاني، 1415هـ–1995م).

ولعلنا نضيف إلى هاته الشّروط، شروطا نراها مهمة ذكرها حسين الذهبي في كتابه وهي:

خامسها: أن يكون المترجم بعيدا عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن وهذا الشّرط في المفسر أيضا.

سادسها: أن يكتب القرآن أولا، ثم يؤتي بعده بتفسيره، ثم يتبع هذا بترجمته التّفسيريّة حتى لا يتوهم متوهم أن هذه التّرجمة ترجمة حرفيّة للقرآن.[15] (الذهبي، دت).

علاقة التّرجمة بالتّأويل: التّرجمة علم قائم بنفسه، عرف تطورا كبيرا مع مرور الزمن، كانت بداياته مع النّصوص الدّينيّة؛ لما ترجم "الإنجيل" إلى اللغات الأوربيّة، وما نتج عن ذلك من تطور في المناهج وظهور فن التّأويل. لا يتعلق تفسير التّرجمة بالبيئة الأوروبيّة فحسب، بل إنه مهم أيضًا في البيئة الإسلاميّة. سواء في مساحة

التّرجمة العربيّة التّي نُفِّذت في بيت الحكمة في عصر المأمون، أم في فضاء نص "القرآن"، يتم استخدام نصوص مماثلة في "القرآن الكريم."

3. مصطلح التّأويل في اللغة : فالتّأويل في المعاجم العربيّة لا□خرج معانيه عن «التّفسير والمرجع والمصير»[16] (الجوهري، 1430هـ ، 2004 م) ، لكن في معجم لسان العرب لابن منظور؛ أضاف معنى آخر يعادل التّعريف الاصطلاحي؛ حيث ذكر : « التّأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما□رك ظاهر اللفظ ».[17] (ابن منظور، 1990م) وهذا دون ذكر شواهد، كما جرت العادة عندهم.

1.3 التّأويل في الاصطلاح : أما التّأويل في كلام المتقدمين، نشير إلى ما ذكره ابن تيميّة بقوله: «أما التّأويل في لفظ السّلف فله معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أم خالفه، فيكون التّأويل والتّفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا، وهذا هو –والله أعلم –الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التّأويل في هذه الآيّة ونحو ذلك، ومراده التّفسير.

والمعنى الثاني في لفظ السّلف: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تاويله نفس الشّيء المخبر به» [18] (ابن تيمية، 1416هـ).

فتبين مما سبق أن استعمال المتقدمين لمصطلح التّأويل موافق لما جاءت به اللغة، وهو التّفسير أو العاقبة والمرجع.

2.3 أما التّأويل عند أهل الكلام والمناطقة، فإذا كان مصطلح التّأويل عند المتقدمين موافقا لمعناه اللغوي فإن استعمال المتكلمين لمدلول التّأويل لم يكن معروفا في استخدام العرب له، ومن تعاريف المتأخرين، نورد لكم قول الغزالي حيث يقول: « التّأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل بصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر»[19] (الغزالي، 1417هـ)، وأما ابن حزم فيعبر عن معنى التّأويل بقوله :« أما التّأويل نقل اللفظ عما اقتضاء ظاهر، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر»[20] (ابن حزم، د ت).

3.3 التّأويل في الحداثة: أخذ في التّطور الدّلالي ، حيث تحول التّأويل من كونه مصطلحا متداولا في مباحث النّصوص الدّينيّة إلى علم يبحث في آليات الفهم، بعد أن تعدى مرحلة النّصوص الدّينيّة ليصبح علما مستقلا بذاته يبحث في كيفيّة الفهم سواء في النّصوص الدّينيّة أو الحقول الإنسانيّة .

ولتطور مدلول مصطلح التّأويل في المفهوم الحديث تحول هذا المدلول إلى نظريّة عامة في الفهم، واستخدمت هذه النّظريّة في الغرب نحت مصطلح الهرمنيوطيقا للدلالة على نظريّة التّأويل والتّي تعني: المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النّصوص. ويعرف الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الهرمنيوطيقا –وهو من المتأخرين الذين اشتغلوا بدراسة هذه النّظريّة –بأنها: «نشاط فكري يقوم على أساس تفكيك رموز المعنى المختفي في المعنى الظاهر والكشف عن مستوى الدّلالات الضمنيّة في الدّلالات اللفظيّة»[21] (بهرامي، 2002).

وانطلاقا من مدلولات مصطلح التّأويل، في مفهوم المتقدمين والمتأخرين والحداثيين، نجد أن المصطلح بقي يحوم حول معاني القراءة والشّرح والتّفسير والفهم، لكن بآليات ومناهج مختلفة وهذا بحسب مشارب ومقاصد كل طرف.

4.3 التّرجمة مطيته التّأويل: فالتّأويل يتيح للترجمة مجالا أوسع لعمليّة نقل المعنى، فالقدماء كانوا ينظرون إلى التّرجمة عموما على أساس أنها عمليّة مطابقة بين الكلمات أو العبارات الأجنبيّة بما يعادلها في لغة أخرى، غير أن هذا الوضع تغير مع تقدم الدّراسات اللغويّة خاصة المقارنة التّي أتت على الاختلافات البنيويّة بين اللغات، فأدركوا أن هذه الاختلافات تحد من عمليات نقل المعنى.

أما من حيث النّصوص، فقد أدرك اللغويون القدماء خاصة العرب صعوبة نقل النّصوص الأدبيّة وهذا ما نبه إليه الجاحظ حين تكلم عن ترجمة الشّعر، بقوله :" والشّعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النّقل، ومتى حول تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التّعجب... والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذي تحول من موزون الشّعر... وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حولت حكمة العرب، لبطل ذلك المُعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم" [22] (الجاحظ، 1965م) فيظهر من هذا النّص الوعي الكبير الحاصل بتأثير طبيعة النّص في التّرجمة والتّأويل.

فالتّرجمة هي بالفعل "تفسير" والتّفسير ما هو إلا مظهر من مظاهر التّأويل ومستوى من مستوياته يأتي بعد الفهم والشّرح، والتّرجمة ليست تطابقا بيت المنقول منه والمنقول إليه، إنما هي بالأحرى محاولة للشرح أو التّفسير أو التّأويل، لنقرب إلى الأذهان – السّامعة أو القارئة – دلالات ومعاني (وليس ألفاظ) .

فالألفاظ ذات تاريخ وذات طبقات رسوبيّة تثوي داخلها المعاني والدّلالات التّي اكتسبتها الكلمة ووظفت لها عبر تاريخها الكينوني على مر الحقب والعصور، وبالتّالي فإن نقل كلمة/لفظة من لغة إلى أخرى ليس سوى محاولة تقريبيّة إلى الأذهان بنقل ملمح واحد من الملامح المتعددة للفظة الأصل /المنقولة.

وهي محاولة تقوم أولا على الفهم ثم الشّرح ثم التّفسير، وهذه هي أهم خطوات فلسفة التّأويل الحديثة ولئن كانت فلسفة التّأويل قد اهتمت في البدايّة بالتّطبيق على النّصوص الدّينيّة، فإن المفكرين عرفوا منذ القرن التّاسع عشر مع تطور الفلسفة الفينومينولوجيّة /الظاهراتيّة أنه لابد من تفعيل دور "التّأويل" للحيلولة دون المظاهر المتعددة لسوء الفهم، و التّي تحدث غالبا عند التّرجمة أو التّحليل" [23] (سيد أحمد، 1993).

إن الوجودي المعرفي في آن حول الفهم ومخاطره الحافة به جعل التّأويليّة المعاصرة تعتبره – أي الفهم – مرادفا للتأويل وللخبرة اللغويّة معا، لأن النّصوص – المكتوبة أساسا – تقدم إلينا من خلال وسائط لغويّة وينقلها عنا الآخرون إلى لغاتهم كذلك؛ وبالتّالي فإن كلا من القارئ للغة الأصل والمترجم إلى "لغته الأم" يمارس أثناء عمله ذلك مستوى من مستويات الفهم والتّأويل، وهو مستوى يتفاوت كما قلنا بتفاوت قدراتهم وتكوينهم وخبراتهم التّي إنما تتكون بكم وكيف التّعامل السّابق مع النّصوص المقروءة والأخرى المترجمة .وبهذا تكون التّرجمة في تنزلها بين منزلتي الفهم والتّأويل عمليّة تجمع بين خصائص المفهومين.

يجيب فلاسفة التّأويل خاصة "جادامر" عن هذه التّساؤلات بأن النّص إنما يتحدث من خلال التّأويل وأن التّأويل في جميع الحالات هو ترجمة حتى ولو كانت القراءة للنص تتم داخل لغته الأصليّة، أي بعبارة أخرى أن أي تعامل مع النّصوص هو في حد ذاته نوع من أنواع التّرجمة؛ وهو يستعمل هنا التّرجمة كمرادف للتفسير والشّرح والتّكميل

لغائب / المحذوف من النّصوص، والتّركيز هنا في النّصوص على الإبداعيّة منها. بتصرف (محمد سالم ولدالطلبه، 1440هـ2019م).

4. نماذج تطبيقيّة لآيات قرآنيّة مترجمة: للترجمة آثار متعددة في تغيير معنى النّص القرآني ومآلاته، فيؤول تبدل معاني القرآن الكريم في الكلمة الواحدة تارة، وتارة أخرى في تبدل معاني البنيّة والسّياق، مما يفضي إلى الفصل بين القصد والغايّة وعدم وضوحهما في الآيّة القرآنيّة أو السّورة.

ومن هذا المنطلق حاولنا توضيح بعض من هذه المزالق بأخذ أمثلة من الآيات القرآنيّة المترجمة إلى الفرنسيّة، من بوابة كتاب جاك بيرك الموسوم بـ: محاولة ترجمة للقرآن، واجتهدنا في بيان تأويلاته التّي نَأَتْ عن المعاني والمقاصد الحقيقيّة لآيات منتقاة.

1.4 النّموذج الأوّل : في ترجمة المفردات : سوء فهم (مدى فهمه للغة العربيّة).

- **كلمة " صبغة "**

صبغ: الصاد والباء والغين، أصلٌ واحدٌ، وهو تلوين الشّيء بلونٍ ما، تقول: صبغته أصبغه.

ويُقال للرُّطَبة: قد صَبَّغَتْ، فأمَّا قولُه تعالى:﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ** ﴾[البقرة 138] فقال قوم: هي فِطرتُهُ لخلْقِهِ، وقال آخرون: كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله تعالى صِبغة.

والأصبغ الفرس في طرف ذَنَبِه بياض. وذلك دون الأشكل، والأوَّل مشبَّه بالشّيء يُصْبَغ طرَفُهُ[24] (ابن فارس، 1399هـ1979م).

الآيّة: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ١٣٨**﴾ [البقرة: 138] [25]

التّرجمة إلى الفرنسيّة:

138. Une teinture de Dieu ! Mais qui peut mieux teindre que Dieu, quand nous L'adorons[26] (Berque, 1990)

معنى التّرجمة:

صباغة من الله لكن من ذا الذي يمكنه أي يصبغ أفضل من الله، عندما نعبده ؟![27] (عبدالعزيز، 1423هـ،2004م).

تفسير الآيّة الكريمة: ذكر البغوي في تفسيره "معالم التّنزيل :"﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ** ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايّة الْكَلْبِيّ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنِ: دِينَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ صِبْغَةً لِأَنَّهُ يَظْهَرُ أَثَرُ الدّينِ عَلَى الْمُتَدَيّنِ، كَمَا يَظْهَرُ أَثَرُ الصَّبْغِ عَلَى الثَّوْبِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الْمُتَدَيّنَ يَلْزَمُهُ وَلَا يُفَارِقُهُ كَالصَّبْغِ يَلْزَمُ الثَّوْبَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِطْرَةَ اللَّهِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: سُنَّةَ اللَّهِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْخِتَانَ لِأَنَّهُ يَصْبُغُ صَاحِبَهُ بِالدّمِ، وقال ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَنَّ النّصَارَى إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِهِمْ وَلَدٌ فَأَتَى عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ غَمَسُوهُ فِي مَاءٍ لَهُمْ أَصْفَرَ، يُقَالُ لَهُ: المعموديّة، وَصَبَغُوهُ بِهِ لِيُطَهّرُوهُ بِذَلِكَ الْمَاءِ مَكَانَ الْخِتَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ قَالُوا: الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ دِينَهُ الْإِسْلَامُ لَا مَا يَفْعَلُهُ النّصَارَى، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ، يَعْنِي: الْزَمُوا دِينَ اللَّهِ، قَالَ الْأَخْفَشُ: هِيَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾ : دِينًا، وَقِيلَ: تَطْهِيرًا، ﴿ **وَنَحْنُ لَهُ عابِدُونَ** ﴾ :مُطِيعُونَ (البغوي، 1435هـ2014م)[28].

أثر ترجمة مفردة " صبغة" في تأويل الآيّة الكريمة: من خلال قراءتنا الأولى لتفسير الآيّة الكريمة، وترجمتها،

نستنتج البون الشّاسع بين الدّلالتّين، ففي التّفسير المقصود من الصبغة هي دين الله وفطرته وأثر التّدين والختان وكلها تدل على الالتّزام بالدّين الصحيح ألا وهو دين الإسلام.

على العكس من ذلك فالمترجم بترجمته الخاطئة أوّل الآيّة إلى معنى آخر في ذهن المتلقي، حيث يفهم منها معنى أوليا مباشرا وماديا وهي الدّلالة الأولى للكلمة وهي الصباغة وتغيير اللون فيكون تأويل الآيّة على النّحو الآتي: أنه لا يوجد من يجيد الصباغة خير من الله. وهذا تأويل فاسد وباطل بل هو تحريف يعود أساسا لسوء فهمه للغة العربيّة وعدم تمكنه من أساليب البلاغة العربيّة وكذا عدم الرّجوع إلى أهل الفن والاختصاص، فالصبغة مضافة إلى لفظ الجلالة "الله" وصاحب السّليقة من العربيّة يؤولها إلى معنى ثانوي مجازي وهي الدّين والفطرة.

أما القراءة الثانيّة لصاحب التّرجمة، هي سوء النّيّة (بقوله: إشارة ساخرة) وتعمد القصد في الإضلال وتحريف الآيّة، وذلك بتوجيه القارئ إلى أن ما يمارسونه بما يسمى التّعميد وهذه من عادات النّصارى عندما يولد الطفل فيغمسونه في الماء ملون حتى يصبح نصرانيا أنه موجود في الدّين الإسلامي ولو بشكل آخر، أن الدّين الإسلامي والدّين النّصراني سيان، فهو يدعو إلى عدم الدّخول في الإسلام وان ما هو موجود عندهم موجود في الإسلام.

وهذا أشار إليه من خلال التّهميش للآيّة في كتابه حيث قال:" ولا شك أنها إشارة ساخرة إلى التّعميد المسيحى إلا أن الإيحاء القوي لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير، ومع ذلك فالأفضل –في نظرنا –أن نترك للتشبيه كل قوته "[29]. (عبدالعزيز، 1423هـ،2004م).

138. Sans doute allusion ironique au baptême chrétien. Mais la puissance évocatoire de çibgha en passe de loin la dénotation. Le mieux, toutefois, nous a paru de laisser à la métaphore sa force". [30] (Berque, 1990)

والتّرجمة الصحيحة للمعنى لدى محمد حميد الله:

Nous suivons la religon d'Allah! Et qui est meilleur qu` Allah en sa religion? C`est Lui que nous adorons.

2.4 النّموذج الثّانيّ في التّركيب : قلب الحقائق.

الآيّة: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ٢١٣﴾ [البقرة: 213] [31]

تفسير الآيّة:

﴿ **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾من هذه الأمة﴿ لِمَا **اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ** ﴾فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب، هدى الله للحق فيه هذه الأمة﴿ **بِإِذْنِهِ** ﴾تعالى وتيسيره لهم ورحمته. ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾فعم الخلق تعالى، بالدّعوة إلى الصراط المستقيم عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وهدى –بفضله ورحمته، وإعانته ولطفه –من شاء من عباده، فهذا فضله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته، تبارك وتعالى[32]. (ابن السعدي، 1423هـ2020م)

التّرجمة:

213. Mais Dieu avait guidé les croyants à diverger, avec Son autorisation, sur tels points de la Vérité...[33] (Berque, 1990)

معنى ترجمته:

إن الله قد أرشد المؤمنين إلى الاختلاف، بموافقته (أو بإذنه)، حول تلك النّقاط من الحقيقة[34]. (عبدالعزيز، 1423هـ،2004م).

أثر التّرجمة في تأويل الآيّة:

عجبا لأمر المترجم؛ كيف قلب معنى الآيّة الكريمة، كيف يهدي الله تعالى المؤمنين للاختلاف، لو عرضت هذه الآيّة على عامي لفهمها على الوجه الصحيح، فللمترجم له قوة علميّة معروفة جدا، فما الذي جعله يقلب معنى الآيّة من أن الله قد هدى الذين اختلفوا فيه من الحق إلى أنهم قد اختلفوا فيه بأمر من الله !!.

ثم يضع هامشا يقول فيه:

2 1 3 . Le deuxième ikhtalafû nous paraît en effet avoir pour sujet «lescroyants », et légitimer une certaine marge de divergences doctrinales. L'interprétation habituelle escamote pratiquement cette possibilité.[35] (Berque, 1990)

"وإن اختلفوا" الثانيّة تبدو في نظرنا أنها فاعل للمؤمنين، وتبرر وجود مساحة من الاختلاف المذهبيّة، إن التّفسير التّقليدي يخفى تماما هذا المعنى"[36]. (عبدالعزيز، 1423هـ،2004م)

تحريف المعني، ثم الخروج من هذا التّحريف بأدلة الإثبات الباطل. هل هذه هي أمانة السّيد بيرك ؟![37] (عبدالعزيز، 1423هـ،2004م)

3.4 النّموذج الثالث : إضافة كلمات في الآيّة المترجمة :

الآيّة: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ١٠٩﴾ [الصافات: 109][38]

التّفسير: وَقَوْله﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ١٠٩﴾ يَقُول تَعَالَى ذِكْره : أَمَنَة مِنْ اللَّه فِي الْأَرْض لِإِبْرَاهِيم أَنْ لَا يَذْكُر مِنْ بَعْده إِلَّا بِالْجَمِيلِ مِنْ الذِّكْر[39].

التّرجمة:

109.Salut sur Abraham au sein des univers.[40] (Berque, 1990)

معنى التّرجمة: سلام على إبراهيم في العالمين[41]. (العزب، 2006)

أثر التّرجمة في تأويل الآيّة:

إن الزيادة التّي قام المترجم بإلحاقها في الآيّة الكريمة، أضافت معنى زائدا وهو غير موجود وكأنه لُبِّسَ عليه وألحق معنى هذه الآيّة كما في الآيّة السّابقة ﴿سَلَامٌ **عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ**٧٩ ﴾ [الصافات: 79]

ومعنى الآيّة: مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن، أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم.[42] (ابن كثير، 1420هـ1999م)

لقد أضاف جاك بيرك في الآيّة عبارة " في العالمين " دون تبرير لاختياره لهذه الإضافة، إذ لم يلجأ إلى حل الهوامش كتقنيّة من تقنيات التّرجمة التّوضيح تصرفه هذا[43]. (العزب، 2006).

وبالعودة إلى التّفاسير الإسلاميّة التّي كانت ضمن منهج جاك بيرك في نقل المعاني، تجد صاحب كتاب التّنوير والتّحرير يؤكد أن عبارة " في العالمين " لم يرد ذكرها في هذه الآيّة " لأن إبراهيم لا يعرفه جمع الجميع من البشر خلاف نوح عليه السّلام وقوم نوح كما يرى هذا المفسر " هم النّاس الذين كانوا عامرين الأرض يومئذ إذ لا يوجد غيرهم على الأرض كما هو ظاهر حديث الشّفاعة وذلك صريح ما في التّوراة[44]. (ابن عاشور، د ت).

وانطلاقا من هذه النّماذج الثلاثة التّي ذكرناها آنفا، والأمثلة كثيرة جدا لأن الأمر يتعلق بالقرآن الكريم تتضح لدينا الصورة العامة، عن مدى صعوبة أمر التّرجمة ونحن نخص بالذكر ترجمة آيات القرآن الكريم، فإذا كنا نرجو نتائج دقيقة فهي تتوقف على سلامة المنهج المتبع في بحثها، فسلامة المنهج في التّرجمة أساسيّة وضروريّة لأجل قبولها أوردها، ونقول عن جاك بيرك، هل استطاع أن ينفلت من نقد موريس بوكاي بقوله "وإذا أمعنت النّظر في طرائق المستشرقين لترجمة القرآن، علمت أنه من غير الممكن أن تحصل على واحدة يُطْمَأنُّ إليها بين ترجماتهم"[45]. (موريس، 1985).

4. خاتمة: لا نستطيع أن ننكر أن للترجمة إسهامات مهمة وهامة في الكشف عما كان مغلقا ومحصورا في بيئة أحاديّة اللغة، أيا كانت، لكن إذا علق الأمر بكتاب منزه ومقدس، بل هو معجز في الماضي والحاضر والمستقبل، علينا أن نتوقف وألا ننعزل بمجهودات واجتهادات فرديّة، بل والأولى أن يتصدر أهل هذه اللغة في إعطاء التّرجمة الصحيحة والسّليمة، والمستوفاة لجميع معاني ومقاصد آي القرآن الكريم.

من خلال هذه الورقة البحثيّة خلصنا إلى بعض النّتائج المهمة منها:

- وجدنا أن مصطلح التّرجمة في اللغة، لا يتناقض مع التّعريف الاصطلاحي فكل منهما يحوم معاني نقل، وبيان المعاني والمقاصد للغة الثانيّة؛
- ألفينا التّرجمة تتنوع إلى ترجمة حرفيّة وهي صعبة المنال وفيه تضييق على المترجم، بعكس التّرجمة التّفسيريّة التّي تسنح للمترجم أن يبين المعنى المقصود بألفاظ مناسبة ولا تشترط نظم لغة الأم؛
- حدد علماء شروطا عدة للمترجم، وهي تجتمع مع بعضها، للتقليل من الزلل؛
- التّأويل تتقاطع دلالتّه لغويا مع دلاته الاصطلاحيّة وهذا عند المتقدمين، بخلاف الحداثيين حيث أصبح التّأويل ليس مجرد مصطلح بل هو نظريّة في حد ذاته؛
- عالجنا في بعض الأمثلة جزءا من قضايا التّأويل وعلاقته بالتّرجمة، ومن النّتائج التّي استنتجناها، على المترجم أن يلتزم بشروط التّرجمة كاملة وخاصة ترجمة القرآن، لأن المترجم مؤول فلابد له من الأمانة العلميّة واطلاع باللغة العربيّة وعلومها المتعددة، وكذا مع نباهة وحذق وفطنة، وكل هذا مع اشتراك مع علماء آخرين، وخاصة علماء الدّين والتّفسير؛
- يستطيع المترجم المسؤول لآيات القرآن الكريم، أن يوجه القارئ إلى معتقدات خاطئة ومنحرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم بروايّة حفص عن عاصم.

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادق، بيروت، ط2، ج11، ص33.
2. ابن الأثير مجد الدّين المبارك بن محمد الجزري، النّهايّة في غريب الحديث والأثر، تح: أحمد بن محمد الخراط، وزراة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، دولة قطر، ط1، دت، ج2، ص445.
3. ابن تيميّة احمد بن عبد الحليم، الإكليل في المتشابه والتّأويل (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة)، جمع: عبد الرّحمن بن قاسم، مجمع فهد لطباعة المصحف الشّريف، المدينة المنورة، 1416هـ، ج13، ص288.
4. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، دت، ص2.
5. ابن كثير اسماعيل بن عمر أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرّياض، 1420هـ1999م، ج7، ص45
6. أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1417هـ، ج3، ص11.
7. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1399هـ1979م، ج3، ص331.
8. اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2004 م، ص442.
9. اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2004 م، ص442.
10. الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السّلام هارون، مصر، ط3، 1965، م1، ص74-75.
11. زينب عبد العزيز، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2004م، ص51.
12. عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير الرّحمن، تح: عبد الرّحمن المعلا اللويحق، مؤسسة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م، ص404.
13. مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط 4، 1425هـ، 2004م، ص83.
14. محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله التّركي، دار هجر للطباعة والتّوزيع،
15. محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التّنزيل، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط2 ،1435هـ، 2014 م، ص68.
16. محمد الطاهر بن عاشو، تفسير التّحرير والتّنوير، دار سحنون، تونس، ط1، دت، ج 14، ص 187.
17. محمد بهرامي، الهيرمونطيقيا والتّفسير، مجلة الحياة الطيبة، العدد8، 2002م، ص37
18. محمد حسين الذهبي، التّفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، دت، ج1، ص23-24.
19. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م، ج2، ص91.
20. محمود بن عبد السّلام العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة والمعين، غضة مصر، ط1، 2006م، ص 105.

21. محمود سيد أحمد، الهرمنيوطيقا عند جادامر، دار الثقافة، مصر، 1993م، ص 20
22. موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التّي ينشرها المستشرقون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم، ص1396.

هوامش:

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 1425هـ، 2004م، ص83.

[2] اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2004 م، ص442.

[3] ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أحمد بن محمد الخراط، وزراة الأوقاف والشؤون الدينية، دولة قطر، ط1، دت، ج2، ص445.

[4] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م، ج2، ص91.

[5] ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص98-99-100.

[6] ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص100.

[7] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص92.

[8] سورة يوسف الآية 84.

[9] Jacques Berque, Le Coran Essai de traduction Éditions Sindbad, Paris.E1, 1990, P254.

[10] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص92.

[11] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير الرحمن، تح: عبد الرحمن المعلا اللويحق، مؤسسة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م، ص404.

[12] محمود بن عبد السلام العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة والمعين، غضة مصر، ط1، 2006م، ص 105.

[13] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 93 إلى 97.

[14] محمد عبد العظيم الزرقاني المصدر نفسه، ص93.

[15] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، دت، ج1، ص23-24.

[16] اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2004 م، ص442.

[17] ابن منظور، لسان العرب، دار صادق، بيروت، ط2، ج11، ص33.

[18] ابن تيمية احمد بن عبد الحليم، الإكليل في المتشابه والتأويل (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ، ج13، ص288.

[19] أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تح: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1417هـ، ج3، ص11.

[20] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، دت، ص2.

[21] محمد بهرامي، الهيرمونطيقيا والتفسير، مجلة الحياة الطيبة، العدد8، 2002م، ص37

[22] الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مصر، ط3، 1965، م1، ص74-75.

[23] محمود سيد أحمد، الهرمنيوطيقا عند جادامر، دار الثقافة، مصر، 1993م، ص 20

[24] أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ1979م، ج3، ص331.

[25] البقرة: 137.

[26] Jacques Berque, Le Coran Essai de, P44.

[27] زينب عبد العزيز، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2004م، ص51.

[28] محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط2 ،1435هـ، 2014 م، ص68.

[29] زينب عبد العزيز، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، ص51.

[30] Jacques Berque, Le Coran Essai de, P44.

[31] البقرة 213

[32] عبد الحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص95.

[33] Jacques Berque, Le Coran Essai de, P55

[34] زينب عبد العزيز، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، ص56.

[35] Jacques Berque, Le Coran Essai de, P55.

[36] زينب عبد العزيز، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، ص56.

[37] زينب عبد العزيز، المرجع نفسه، ص55.

[38] سورة الصافات: 109

[39] محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع،

[40] Jacques Berque : Le coran essai de traduction, p 482

[41] محمود العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة والمعين، ص 77.

[42] ابن كثير اسماعيل بن عمر أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، 1420هـ1999م، ج7، ص45

[43] محمود العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم في اللغة والمعنى، ص 77.

[44] ينظر: محمد الطاهر بن عاشو، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ط1، دت، ج 14، ص 187.

45 موريس بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم، ص1396.